النمط العمراني ودوره في تلبية الحاجات السوسيوثقافية لساكنيه دراسة ميدانية بين نمطين(تقليدي وحديث)-الدراسة الميدانية بمدينة بسكرة-.

الباحث: عبد الكريم شكريد، جامعة مستغانم، الجزائر
الأستاذ الدكتور: قويدر سيكوك، جامعة مستغانم، الجزائر

الملخص:

يتناول هذا المقال دور النمط العمرانى بشكليه التقليدي والحديث في تلبية مجموعة من الحاجات سواء النفسية أو الدينية او الاجتماعية، لمعرفة مدى تلبية تلك الحاجات وكيفية تحقيقها من قبل السكان.

Abstract:

This article prescribes the role of architectural type (traditional and modern) to meet a range of religious and social psychic needs to know how to respond to these needs and how to reach by the population.

مقدّمة:

تعتبر المدينة نتاج التفكير الإنساني المستمر فهي الجانب المادي واللامادي للحاجات الانسانية المختلفة، إذ إنها عبارة عن علاقة تفاعل بين ماهو مادي ولامادي.

فالإنسان في البدء كان يحتاج لمأوى يحميه من الظروف الطبيعية المختلفة غير أن هذا البناء تغير وتطور بتغير وتطور الثقافة الانسانية وازدياد حاجات الانسان المختلفة أين أصبح السكن عبارة عن قيمة انسانية ظرورية تعبر عن قيمته وكيانه كما أنها تعبر عن مكانته الاجتماعية، إلى جانب أن المسكن أصبح يحمل دلالات رمزية تعبر عن طقوس معينة مثل العتبة وما يحمله الباب من رموز وكذلك كل غرفة من غرف المسكن المختلفة وما تحمله من طرق خاصة في السلوك والتصرف، فقد تحول المسكن إلى فضاء دلالي يفرض قيمه الفكرية والسلوكية على قاطنيه.

حيث فرضت تعقيدات الحياة، والنمو الديموغرافي السريع على الدول إجراءات سياسية من أجل تلبية حاجات مواطنيها من السكن أين أصبح السكن هو الذي يفرض قيمه ومبادئه على قاطنيه، فلم تعد تراعى فيه قيم المجتمع،أو تركيبته السوسيولوجية (عدد أفراده سواء ذكورا أو إناثا)، إذ أن طرف المعادلة الاساسي والمتمثل في الجانب الإنساني، صار مغيبا خلال عملية التخطيط، كما أنها تفتقد للجانب الجمالي فالأمر أصبح مرتبطا بتوفير السكن فقط، وعليه فهل يلبي كلا النمطين حاجات السكان المختلفة؟

1- منهج الدراسة:

تم إعتماد المنهج الوظيفي في هذه الدراسة لمعرفة وظيفة البناء في الحياة الاجتماعية والثقافية لمجتمع الدراسة.

2- أسباب إختيار الموضوع:

- ✓ خلق تباعد بين الباحث وموضوع الدراسة.

- ✓ التركيبة العمرانية والاجتماعية لمجتمع الدراسة.
- ✓ قرب مجتمع الدراسة من منطقة السكن.

3- أهداف وأهمية الدراسة:

- ✓ فهم الممارسات الثقافية داخل المجال الحضري والمعنى الذي يضفيه الفاعل على فعله.
- ✓ فهم متغيرات الواقع السوسيوثقافي لمجال الدراسة.
- ✓ الربط بين ماهو عمراني وماهو سوسيولوجي.

4-مجالات الدراسة:

4-1-المجال الزماني:

إبتدأت الدراسة منذ اختيار الموضوع وذلك خلال جوان 2013 هذا بالنسبة للجانب النظري.أما فيما يتعلق بالجانب الميداني فالدراسة ابتدأت يوم 22 ديسمبر 2014 فكان أول نزول للميدان ليستمر الامر الى غاية ماي 2016 .

4-2-المجال المكاني:

تعتبر مدينة بسكرة من أقدم المدن الصحراوية التي عرفت وقت الامازيغ كما استمرت خلال مختلف الإحتلالات المختلفة،ولتستمر ليومنا هذا ،فهي توجد بمنطقة الزاب و"يأخذ الزاب إسمه من مدينة زابي (zabi)الرومانية القديمة التي كانت تقع في منطقة الحظنه...وقاعدة الزاب هي بسكرة[1]".

فنجد أنها كانت موجودة منذ القدم فالرومان اتخذوها مركزا لهم من أجل حماية مناطقهم في التل،كما أن ليون الافريقي يؤكد ذلك ف"بسكرة مدينة عريقة في القدم، أسست أيام كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وخربت بعد ذلك، ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الاسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي، وسورها من الآجر النيئ، أما السكان فمؤدبون لكنهم فقراء لأن اراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر..."[2] فالسكان الاصليون هم الامازيغ ليأتي الرومان ومن بعدهم العرب،غير أن هناك إشارة من ليون الافريقي لطبيعة المواد المستعملة في

البناء وهي الآجر النيئ، الذي لا يستخدم في يومنا هذا خلال عمليات البناء إنما تستخدم مواد حديثة ككل المناطق في مختلف أرجاء مدن الوطن،إلا أن الملاحظ أنه خلال الحقبة الاستعمارية الفرنسية تم إستخدام الآجر النيئ.

4-2-المجال البشري:

يتمثل مجتمع الدراسة في مدينة بسكرة،وهو موضح في الجدول أدناه:

جدول رقم :(01)

النمو السكاني لمجتمع مدين بسكرة.

السنوات		1977	1987	1998	2008
بسكرة	عدد السكان (نسمة)	87200	1299611	172905	205608

أما العينة فتتمثل في مجموعة من الأحياء المتماثلة من حيث النمط العمراني وعليه تم إختيار عينة طبقية تناسبية تمثل مجتمع الدراسة وتتمثل في :

- ✓ بسكرة القديمة(200)أسرة.
- ✓ عمارات(200)أسرة.

حيث تمثلت العينة في 400 مفردة موزعة حسب التعداد السكاني لكل منطقة.

5- مفاهيم الدراسة:

5-1-النمط العمراني:

إن أي بنية عمرانية يشيدها الإنسان تتميز بخصائص عن باقي البنى الأخرى فالإنسان يجسد ثقافته اللامادية في ما هو مادي فهذه البنية تتغير بتغير

المجتمع وثقافته ف"...النمط هو العامل الأساسي في كل قراءة للنسيج المديني ويحدده كمجموعة من السمات المشتركة لسلسلة مبان لها الوظيفة نفسها في بيئة ثقافية معينة وشيدت في فترة زمنية محددة... [3] فحسب هذا التعريف يعتبر النمط العمراني تلك المباني المتشابهة من حيث الشكل والوظيفة والتي تمتاز ببنائها في فترة زمنية محددة كما تقوم بإشباع حاجات قاطنيها.كما أن"النمط العمراني...يتطور ويتغير بحسب تغيرات المجتمع" [4] فهذا البناء المادي يتأثر بماهو لا مادي فهو يتغير بتغير بنية المجتمع فهو بذلك يتميز ببعده الديناميكي.

5-1-الخصوصية الثقافية:

لكل مجتمع مها كانت درجة تطوره أو تخلفه قدمه أو حداثته مجموعة من السمات التي تجعله متميزا عن باقي المجتمعات الأخرى فالخصوصية مرتبطة بعاملين أساسيين هما البيئة والحضارة فهذان العاملان يتفاعلان جدليا ويحددان إنتماء الفرد الى ثقافة معينة تجعله يتميز عن باقي أفراد الثقافات الأخرى"...في حين يظل مفهوم الخصوصية الثقافية ثابتا لأنه بحكم التحديد يعبر عن عناصر التمايز الثابتة في الثقافة[5] غير أن مفهوم الخصوصية الثقافية مختلف عن مفهوم الخصوصية فالأولى ثابتة والثانية ديناميكية ومتغيرة،ولذلك تبقى تلك العناصر الثقافية مستمرة في المخيال الجمعي لمجتمع ما أو امة معينة .

غير أن تلك السمات الثقافية ليس بالضرورة أن تبقى مستمرة وثابتة فهي لا تحتكم الى قانون مطلق فهي نسبية رغم طول الزمن وعدم مرونة المجتمع في التخلص من بعض سماته وان كانت خاطئة.

6. النمط العمراني والحاجات الاجتماعية والثقافية:

كل مدينة لها تاريخ فهي بالضرورة تحتوي على مجموعة من المساكن المتشابهة من حيث الشكل والوظيفة، والتي تقوم بإشباع حاجات مختلفة لقاطنيها سواء كانت نفسية او اجتماعية أو روحية...الخ لذلك يعتبر"المسكن هو الوسط الذي يشبع جميع حاجات الانسان [6] "،أي أن المسكن يتعدى كونه فضاء ماديا

فقط بل هو فضاء إنساني بامتياز لما له القدرة على إشباع حاجات سكانه،فهو بذلك يستجيب للقيم الثقافية التي أودعت فيه من أجل تحقيق ما يتوقع منه ف"قضايا الخصوصية أعتبرت عاملا مهما في السكن [7] فهي عامل أساسي من أجل تحقيق توافق بين السكان وسكنهم فيتعين على المهندس المعماري أن تكون تصاميمه نابعة من أرض الواقع ومعتمدة على مختلف الدراسات سواء النفسية أو السوسيوأنتروبولوجية، من أجل تحقيق توافق بين ماهو مخطط وماهو إجتماعي وما سيتم تشييده فهذه العلاقة الثلاثية لابد أن تراعى في ذلك.

غير أن الأمر الملاحظ هو أن مشاريع الاسكان في الجزائر تفتقد الى الجوانب الجمالية وكذا عدم تحقيقها لحاجات السكان"خصوصية المنطقة،إرتجالية المبادرات" [8] وهذا عائد الى عدم تحقيق المعادلة الثلاثية،نظرا لكون القرار في مثل هكذا أمور يصدر من قبل السلطات العليا،أين يصبح المهندس مجرد وسيلة لتمرير وتنفيذ قرارات السلطة،والضحية هنا هو المواطن الذي يجد نفسه داخل سكن غريب عن ثقافته الأولى،فهل حقق السكن حاجات المواطن؟

6-1- الحاجة للأمن:

بما أن الانسان يعيش ضمن مجموعة فالمطلب الاساسي له هو الأمان من أجل تحقيق استقراره الدائم في محيط جغرافي وفضاء عمراني محدد من أجل قدرته على الإستمرار والبقاء ،كما أن ذلك يحقق له إحساسه بذاته، فالسكن من خلال الدراسة التي أجريت في مدينة بسكرة تبين أن ما نسبته 92.25%من مفردات العينة يرون أن المسكن يوفر لهم الأمان كما لا يخفى علينا أن هذا العامل ليس وحيدا فهو مرتبط ببعد إجتماعي نظرا لوجود أقارب للسكان في مجمعاتهم الحضرية وذلك بنسبة 47.30%فهنا المدينة مازالت محملة بالعلاقات القرابية والدموية،كما أن الاصول الاولى للسكان 40.90% ريفية ،إلى جانب كون السكن عبارة عن ملكية خاصة وذلك بنسبة 71.90% ،فكل هذه العوامل تضافرت في بناء هذا الإحساس .

فبالإمكان تكوين علاقة نعبر عنها :الحاجة للأمن =علاقات قرابية+الاصول الاولى(ريفية)+تملك المسكن.

غير أن نسبة قلية لا تشعر بالأمن وتقر ب 7.75% وذلك عائد حسب رأيهم الى:

- مشاكل اجتماعية + سرقة.
- ضجيج + تلوث.

ويمكن أن نرجع الأمر إلى عوامل أخرى سواء إلى مدة الاقامة في الحي وعدم وجود أقارب وعدم تملك السكن فهي عوامل تسهم في بناء نظرتهم حول ذاتهم، ويمكن أن نجمع هذه العوامل في العلاقة التالية:مشاكل اجتماعية+ضجيج وتلوث+مدة الاقامة+عدم وجود اقارب+عدم تملك المسكن=عدم الشعور بالأمان.

والجدول أدناه يبين ذلك:

جدول رقم:(02)الشعور بالأمان:

الفئة	نعم		لا		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	184	92.00	16	8.00	200
عمارات	185	92.50	15	7.50	200
المجموع	369	92.25	47	7.75	400

كما أن عاملي الحماية والمراقبة يعتبران عاملان مكملان للعامل الأول،فالمسكن يوفر حمايته للأفراد الذين يقيمون فيه ،سواء من العوامل الطبيعية أو الإجتماعية،فهو فضاء مشبع بما يتوقعه منه الإنسان،كما أنه يقوم بوظيفة المراقبة

على أفراده من خلال هندسته المعمارية المشبعة بقيم المجتمع أي أنه أصبح يملك سلطة على أفراده بما يفرضه من قدرة على ضبط تحركات الإنسان في الفضاء المعيش وتقسيم الفضاء إلى فضاءات ذكورية وأخرى أنثوية وأخرى مشتركة بين الجنسين فهو بذلك أصبح فضاء مجنسنا، وحتى إذا كان مستوردا فالمجتمع يكيفه وفقا لحاجاته من خلال ما يلاحظ خاصة في العمارات الحديثة من تغيير في الشرفات وغلقها أو إضافة غرف أخرى ليتناسب البناء مع عدد أفراد الاسرة أو مع معتقداتهم العرفية والإجتماعية حيث نجد أن مانسبته58.00%من مفردات عينة مجتمع الدراسة قامت بتعديلات على المسكن وذلك عائد حسبهم الى:أسباب مادية وجمالية(غير لائق+ليكون جميلا+قديم+ترميم) أو لأسباب إجتماعية (ليتناسب وعدد أفراد الاسرة).

حيث أن الأسر تكيف المسكن وفق ثقافتها التي غيبت أثناء عملية التخطيط وتقوم بسكنها وفق ما يتوافق وحاجاتها، وعليه نلاحظ أن العلاقة الجدلية القائمة بين العمراني والإجتماعي تظل مستمرة حتى يتوافق الإجتماعي والعمراني ولو نسبيا.

والجدول أسفله يبين ذلك:

جدول رقم:(03) وظيفة الحماية والمراقبة على الأفراده:

الفئة	نعم		لا		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	188	94.00	12	6.00	200
عمارات	195	97.50	05	2.50	200
المجموع	383	95.75	17	4.25	400

فمن خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه يتبين أن المسكن يقوم بوظيفة المراقبة والحماية على أفراده وذلك بنسبة 95.75 % ، وذلك عائد لما تم ذكره سابقا من تكييف للمسكن ليتكيف وفق حاجات السكان ، فالمسكن أصبح يملك القدرة على خلق مشاعر إنسانية متبادلة بينه وبين الإنسان .

غير أن مانسبته 4.25 % من مفردات عينة مجتمع البحث ترى أن المسكن لا يملك القدرة على توفير الحماية والمراقبة، اذ يمكن أن تتمثل تلك العوامل في: مدة الاقامة القليلة، الى جانب كون هذه المناطق السكنية تسكنها فآت متجانسة نوعا ما من الناحية القرابية فهذه المجموعات تقوم بإقصاء كل العناصر الدخيلة عليها، باعتبارها تهدد ثقافتها الفرعية التي تقوم بإنتاجها وإعادة انتاجها داخل الفضاء الحضري، وهذا ما سيؤثر في الشعور الداخلي لهذه الفآت التي ستشعر بالإقصاء الإجتماعي وكذلك بالإغتراب عن الفضاء السكني الذي يقيمون فيه، حيث أن الأمر سيمتد الى باقي التنظيمات الرسمية التي سيتعامل معها هؤلاء السكان.

6-2-الحاجة لتقدير الذات

يمكن أن ننطلق من هذا الجزء من الدراسة فنقول ماهي الأسباب التي تجعل أفراد ومجتمع المدينة يشعرون بأنهم جزء من مدينتهم؟

من خلال الدراسة الميدانية تم إيجاد أن90.50%من مفردات العينة يرون أنهم يشعرون بأنهم جزء من حيهم ومدينتهم لذلك يمكن القول أن الأمر يعود الى أسباب نفس-إجتماعية بدرجة أولى حيث أن الأسرة أو المجتمع لكي يحس بانتمائه الى مدينة ما لابد من تحقيق تآلف بينه وبين المكان الذي يقيم فيه ولا يتم ذلك إلا من خلال عامل الزمن والخبرة النفسية المكتسبة في خلق تآلف بين الانسان والمكان الذي يقيم فيه فباشلار يرى أن "قيم الألفة"(غاستون باشلار: جماليات المكان ،2006،ص53) ضرورية من أجل خلق تآلف بين الفرد والمكان ولا يتأتى ذلك

إلا من خلال عملية تبادل نفسية وإجتماعية بين الإنسان والمكان ،فهذه العلاقة تحدد نوع العلاقة القائمة بينهما،فهي إما علاقة تجاذب أو علاقة تنافر.

كما أن للعوامل المادية سواء الدخل الفردي أو عملية تملك الفضاء المنزلي لها دور في مدى شعور الأسرة أو المجتمع بأنها جزء من هذا المكان فالفضاء بذلك يشبع قيمة أساسية وهي التملك للفضاء السكني.

أما باقي مفردات العينة والمتمثلة بنسبة9.50%يرون أنهم لا يشعرون بأنهم جزء من حيهم أو مدينتهم فيمكن تصنيف أرائهم الى ثلاثة عوامل أساسية:أولا-عوامل اجتماعية والمتمثلة في عدم التفاعل والتعامل مع الجيران أي أن التركيبة الإجتماعية المكونة للحي السكني المشبعة بالقيم الريفية تفرض نوعا من الإقصاء الإجتماعي عليهم كدخلاء الى البنية الإجتماعية،أما العامل الثاني فهو عامل مادي يتمثل في أن السكن عبارة عن إيجار وما ينجم عن هذا العامل من عامل آخر وهو عامل نفسي والمتمثل في عدم الإستقرار، أما العامل الثالث فهو عامل ثقافي والذي يتمثل في عدم تشابه المستوى الثقافي والمعرفي بين أفراد الاحياء السكنية، فهذا الأمر لم يراعى أثناء عملية توزيع السكنات على سكانها أو أن الامر مرتبط بأسباب خارجة عن ساكن الحي والمدينة.

والجدول التالي يجسد المعطيات المعبر عنها أدناه:

جدول رقم :(04) الشعور بأنك جزء من هذا الحي وهذه المدينة

الفئة	نعم		لا		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	178	89.00	22	11.00	200
عمارات	184	92.00	16	8.00	200
المجموع	362	90.50	38	9.50	400

ويمكن إعتبار عنصر الإنتماء للفضاء السكني عاملا مهما ومحكا أساسيا في معرفة مدى تقدير الفرد والأسرة الحضرية لذاتها داخل المجال الحضري،والجدول التالي يبن ذلك:

جدول رقم :(05) الإحساس بتقدير الذات

الفئة	نعم		لا		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	186	93.00	14	7.00	200
عمارات	180	90.00	20	10.00	200
المجموع	366	91.50	34	8.50	400

تعتبر الحاجة لتقدير الذات من الحاجات الأساسية بالنسبة للسكان، حيث أن المسكن باعتباره فضاء يتجاوز بعده المادي ،فيوفر لساكنيه هذه الحاجة النفسية، فهو بذلك يخترق عمق كيان الإنسان فيكون بذلك قادرا على توفير التقدير واللاتقدير لذات الإنسان،حيث أن 91.50%من مفردات العينة يرون أن المسكن يلبي لهم حاجة تقدير الذات، فنجد أن المسكن وفر لهم جانبا نفسيا والمتمثل في الأمن والراحة،إلى جانب كون أسرهم نووية فهذا عامل إجتماعي إلى جانب كون السكن ملكية،فتقدير الذات إذا يمكن أن نمثله في العلاقة التالية:تقدير الذات=إشباع نفسي+ إشباع اجتماعي+إشباع مادي.

أما أولئك الذين لايشعرون بتقديرهم لذاتهم والمقدرة نسبتهم ب 8.50 %فذلك عائد حسب مفردات العينة إلى اللاأمن وعدم توفر الراحة(سبب نفسي)، كما أن هناك من يرى أن السبب يعود الى أن السكن هو سكن عائلي(سبب اجتماعي) وما ينجم عنه من مشاكل بين أفراد الأسرة وخاصة النساء حيث أنه تبين أن ما نسبته 38.20%من أسر العينة هم أسر ممتدة وهي نسبة مرتفعة إذا ماقارنا ذلك بالريف فهذه أيضا تعتبر من بين الرواسب التي خلفتها

الذهنية الريفية في المدينة،إلى جانب ذلك يعتبر عامل الإيجار من بين العوامل التي تسهم في عدم تقدير الذات وذلك نظرا لأنهم في حالة لااستقرار نفسية فهم مهددون بالخروج من سكنهم في أي لحظة.

6-3-الحاجات الدينية:

يعتبر الجانب الروحي مكونا أساسيا للمدينة ،فقد كانت المدينة تعبر عن قداستها مثل قداسة أي شئ أو نشاط من الأنشطة الأخرى التي عرفها الأنسان، فحتى السكن كان مقدسا ومرتبطا بحياة الإنسان، إذ "أن السكن هو دائما مقدس من جراء أنه يؤلف صورة العالم وأن العالم خلق الهي [9]".

فالسكن هو إذن تجلي الالهي فيما هو إنساني،فالرواسب الثقافية وإن بعد الإنسان عن عصره الأول لها فهي لا تزال مستمرة في لاشعوره الجمعي، حيث أن تلك المبادئ تتجسد في كل نواحي حياته وخاصة معماره إذ أن"للمعتقدات الدينية دور في العمارة[10] فعلاقة الإنسان بخالقه تتجسد في معماره من خلال الأقواس، القبة وغيرها، كما أن"للدين دور في هيكلة المكان" [11] إذ أنه يقسم الفضاء الخاص بالمرأة والرجل كما ذكر في العنصر السابق، فنجد أن معطياتنا الكمية قد بينت:

جدول رقم :(06) قداسة المسكن:

الفئة	مقدس		ككل الأماكن		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	198	99.00	02	1.00	200
عمارات	190	95.00	10	5.00	200
المجموع	388	97.00	12	3.00	400

وأنه من خلال تساؤلنا هل قداسة المسكن متأتية من بعد ديني أم من بعد اجتماعي ثقافي؟

تبين أنه من خلال المعطيات الكمية للدراسة نجد أن 97.00%من مفردات العينة ترى أن المسكن مقدس ولكن القداسة هنا خرجت من معناها الديني لتنتقل الى قداسة إجتماعية ونفسية بدرجة أولى لتكون القداسة الدينية هي الأخيرة فالإجتماعي والنفسي هما بدرجة أولى في حياة المجتمع قبل الديني فالعامل الديني يكيف وفق ماهو إجتماعي حتى يمكنه الإستمرار والبقاء،إذ أن العامل الإجتماعي تمثل في :(جمع شمل الاسرة+حفظها)،أما العامل النفسي فتمثل في:(راحة+امان+حرية+استقرار+طمأنينة)،ليكون العامل الديني متمثلا في (الحرمة).

ويمكن تلخيص ذلك في العلاقة التالية:قداسة المسكن=عامل اجتماعي+عامل نفسي+عامل ديني."وحسب جانيت أبو لغد...ليس للعوامل الشرعية والسياسية والدينية دور فقط في نشأة المدينة إنما للعوامل الثقافية هي الأخرى دور[12] ومن خلال ذلك فالعامل الديني ليس المحك الأساسي في تحديد نوع المدينة فالعوامل الانسانية (الثقافية)لها دور في البناء المادي.

أما باقي مفردات العينة والمقدرة نسبتها ب3.00% ترى أن المسكن ككل الاماكن الأخرى، فهذا عائد في نظرها إلى إعتباره مأوى فقط فهنا تحول المسكن لمرقد لا أكثر وأصبحت باقي وظائفه مغيبة عن حياة هؤلاء الأسر،وهذا عائد لعدم شعور هذه الأسر بانتمائها للوسط الحضري وعدم تحقيقه للتآلف بينه وبين حاجياتها، إلى جانب الإقصاء اللاشعوري الذي يتعرض له أفرادها من حيث جدتهم في مكان السكن أو وجود أفراد من ذوي أصول متشابهة يتميزون بانغلاقهم على الآخرين.

6-4-الحاجات الإجتماعية:

تعتبر عوامل عديدة مسهمة في تكوين أي مدينة سواء العوامل المناخية أو السوسيوثقافية أو السياسية وغيرها فهي عوامل تسهم في تشكيل أنماط معمارية عديدة ،إذ أن"المجتمعات البدائية عرفت أنماطا عديدة للسكن نتيجة

للمناخ،وتركيبتها الإجتماعية(رجال،نساء،اطفال...)" [13] فتركيبة المجتمع ومدى تطوره التكنولوجي تسهم في تصور الإنسان لنوع البناء الذي يتوافق وتركيبته الإجتماعية ف"قبيلة بانقة الافريقية...منزل للزوجة و الاولاد ومنزل للضيوف[14].

فنظرة الرجل للمرأة ولأبنائه ولذاته،كلها تسهم في تقسيمه للمجال السكني،إذ أن"للبناء بعد اجتماعي يتوافق مع بنية المجتمع[15] هذا إذا كان نابعا من ثقافته الخاصة،أما اذا كان غير ذلك فما "...مدى الملائمة بين الصورة المعمارية ومتطلبات الحياة والواقع السوسيوثقافي؟ [16].

فمن خلال المعطيات الكمية المستقاة من الميدان يتبين أن مانسبته 73.75%من مفردات العينة يرون أن العلاقات في المدينة مبنية على العلاقات القرابية، وهذا عائد الى أصولهم الاولى ريفية وذلك بنسبة40.90%، ونوع الأسرة الممتدة38.20%فرغم أنهما لم يصلا لأكثر من 50%الا أنه أمر لافت للنظر فمدينة بسكرة مازالت محملة بقيم المجتمع الريفي في هذه النقطة وهذا ما سيؤثر على قيمهم كلهم وخاصة في التنظيمات الرسمية فقيم المدينة لم تستطع بعد أن تحلل قيم الريف وقيم القبيلة داخل المدينة وهذا عائد حسب وجهة نظر المبحوثين الى عاملين أحدهما ديني:صلة الرحم وطبيعة الدين، أما العامل الثاني فهو اجتماعي: التآزر، فهنا المجتمع يتعامل مع القيم الدينية بطريقة براغماتية،من أجل اشباع حاجاته الاجتماعية، وتحويل الدين أداة لتبرير نوعية علاقاته المبنية في أرض الواقع على المحاباة والمحسوبية والمصالح الشخصية.

أما الفئة الأخرى والتي تبلغ نسبتها 21.75%من مفردات العينة فترى أن العلاقات في المدينة مبنية على أساس الفردية،وهي فئة تمثلت قيم المدينة الحديثة،وهذا عائد حسب وجهة نظرها إلى:الإستقلالية والعمل والإحترام فتقسيم العمل المبني على التضامن العضوي بدأ يسهم في تفكك تلك الروابط التقليدية التي ما تزال مستمرة في مجتمع الدراسة ليومنا هذا،حيث أن "المدينة تعزز الاختلافات والفروق الفردية [17].

كما أنها حسب جورج زيمل تتميز ب:"الفردية،اللاشخصية،التشيؤ، الاقتصاد النقدي، التجريدية، نظرة اللامبالاة، النقود، التمزق النفسي والعقلي، نوع ودرجة من الحرية الشخصية، تقسيم العمل، الصراع مع الانسان، قلة وندرة المقابلات،الوجود الموضوعي"[18] .

فهذه النظرة للمدينة تختلف عن مكونات مدننا التي لا تزال مشبعة بالقيم التقليدية حيث"صمود قيم التقليد وتمظهراتها لدى سكان المدن"[19] ف"إشكالية الموروث التقليدي الموجود في اللاشعور الجمعي للسكان مازال يحرك سلوكياتهم رغم سكنهم للمدن مدة طويلة لذلك لابد من قطيعة مع التراث القديم"[20] وتحقيق ذلك يتطلب مدة طويلة وتشبعا حقيقيا بقيم المدينة من أجل تحقيق إنسان متمدن.

كما أن هناك فئة أخرى ترى أن العلاقات في المدينة مبنية على كلا العلاقتين فتمثلت نسبتها ب5.510%من مجمل مفردات عينة مجتمع البحث،فهي رغم قلتها إلا أنها تتأرجح بين كلا القيمتين وتستعملها من أجل تحقيق حاجاتها،وهذا التأرجح بين القيمتين ناتج عن طبيعة الواقع السوسيولوجي إلى جانب أنه يوجد صراع بين قيم الريف وقيم المدينة. وهذا مابينه الجدول أدناه :

جدول رقم :(07) العلاقات في المدينة

الفئة	علاقات دموية		الفردية		كليهما		المجموع
	ك	%	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	152	76.00	36	18.00	16	8.00	200
عمارات	143	71.50	51	25.50	06	3.00	200
المجموع	295	73.75	87	21.75	22	5.50	400

إلى جانب ذلك تم اعتماد عنصر آخر لمعرفة مدى حرية الفرد داخل مجاله السكني،حيث أن الفرد لا يسكن وحده داخل المجال الحضري العام والمجمعات السكنية بشكل خاص إذ تبين أن:

جدول رقم:(08)إحساسك في بيتك :

الفئة	حر في تصرفاتك		مقيد فيها		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	158	79.00	42	21.00	200
عمارات	155	77.50	45	22.50	200
المجموع	313	78.25	87	21.75	400

نستنتج من خلال المعطيات الكمية المستقاة من الميدان أن مانسبته78.25%من مفردات العينة يرون بأنهم أحرار في تصرفهم،وذلك عائد حسب نظرهم لكون المسكن ملكا وهذا ما أكدته الدراسة الميدانية إذ أن أغلب مفردات العينة يعتبر سكنهم ملكا وذلك بنسبة 71.90%،فالتملك يعطي الإنسان شعورا مختلفا عن الإنسان الذي يستأجر مسكنه،كما أن هذا العامل يعطي للأسرة راحة واستقرارا وأمانا،ويمكن ذلك في العلاقة:حرية التصرف في البيت= جانب مادي(ملكية المسكن)+جانب نفسي(راحة،إستقرار،أمان).

أما باقي مفردات العينة والمقدرة نسبتها ب 21.75%فهم يرون أنهم مقيدون في تصرفاتهم داخل مساكنهم وذلك عائد الى:-أولا احترام الأخرين ثم أنه يوجد أفراد آخرين أي أن الاسرة ممتدة فهم يرون أن تصرفاتهم تصبح مراقبة من قبل أفراد أسرة الزوج حيث تمثلت نسبة الاسر الممتدة ب 38.20%وهم بذلك لايجدون راحتهم النفسية، إلى جانب عامل آخر وهو كون السكن إيجارا وما

يسببه من عدم الاستقرار حيث تمثلت نسبتهم ب 28.10%، حيث أن العامل الإجتماعي يعتبر السبب الأول في عدم شعور هذه الأسر بحريتها إلى جانب العامل المادي والمتمثل في الإيجار فكليهما يحدان من حرية الإنسان في فضائه المعيش.

كما تم سؤال المبحوثين عن وجود أقارب في حيهم وهذا ما لاحظناه ميدانيا في كثير من المدن الجزائرية حيث تتركز مجموعة من الأسر في حي معين أو جهة معينة لإتجاه ولاية سكناهم الأول، وهذا كأنه الحنين إلى مسقط الرأس والرغبة في العودة إليه وقد بين الجدول التالي ذلك:

جدول رقم :(09) وجود أقارب في حيك:

الفئة	نعم		لا		المجموع
	ك	%	ك	%	
بسكرة القديمة	86	43.00	114	57.00	200
عمارات	98	49.00	102	51.00	200
المجموع	174	43.50	226	56.50	400

يمكن القول أن أي مجتمع بدأت علامات التحلل القبلي تبرز فيه وذلك من خلال مؤشرات تعبر عنه:

- التبعثر السكاني
- ضمور الانتماء والولاء الجمعي
- نمو التوجه المهني ."(قيس النوري،الأنتروبولوجيا الحضرية،2011،ص،151،149).

ويمكن القول أنه في المدينة تبدأ الروابط القرابية والقبلية بالتحلل والتفكك نظرا لطبيعة البيئة الحضرية التي يقيمون فيها غير أنه ومن خلال إستقراء لبعض المعطيات عن مدينة بسكرة والمتمثلة في الأصول الأولى لسكانها وجدنا أنهم يمثلون

نسبة 40.90%من مفردات عينة مجتمع البحث ،كما أنهم يـرون أن العلاقـات في المدينة مبنية على أساس دموي (قرابي) وذلك بنسبة 69.70%فكلها عوامل تجعل سكان هذه المدينة يتميزون بخصائص ريف-حضرية، فالحدود الريفية الحضـرية في المدن الجزائرية غير واضحة المعالم وذلك نظرا للنقلة المفاجئة لسكان المدن فالمدينـة حقب من التطور الفكري والإجتماعي، ولا يمكن التأسيس بشكل مفاجئ للمدينة بهكذا شكل ف "إشكالية تطور المدينة العربية بطريقة مختلفة عن نظيرتها الغربية الى جانب تطورها مع القيم الريفية(القبلية)" [21] وهذا هـو المـأزق الـذي وقعـت فيـه المدينة الجزائرية بالخصـوص والعربيـة بـالعموم فهـي تـتراوح بـين القـيم الريفيـة والحضرية.

فمن خلال المعطيات السابقة كانت نسبة أولئـك الـذين يسـكنون بجـوار أقاربهم مقدرة بنسبة43.50%وهي وإن لم تصل الى النصف إلا أنها بالنسبة لمجـال حضـري فهـي نسـبة كـبيرة، ويمكـن تمثيـل ذلـك مـن خـلال العلاقـة:أصـول ريفية+علاقات دموية=السكن بجوار الأقارب.

وهذا ما ينتج عنه إستمرار تلك القيم كما أنهم سيؤثرون بقـيمهم علـى باقي السكان ف"كلما كانـت جماعـة عرقيـة أو مهنيـة تعـيش في حـي واحـد فـإن مشاعرها تتوحد [22]." وهذا مايجعلـهم يسـكنون في حـي واحـد مـن أجـل عـدم الإحساس بالغربة كما أنه حنين للأصل الأول.

7- مدى تجاوب العمارات الجديدة مع حاجات سكانها:

يعتبر المكان فضاء حيا محملا بقيم إنسانية عديدة فهو ذو"... تـأثير علـى الإنسان سواء إيجابا أو سلبا [23] ف"التوزيع غير العقلاني للسـكان سـبب في عـدم التوازن الفضائي[24]." وهذا ماينجم عنه مشاكل عديدة سـواء مـن ناحيـة الكثافـة السكانية العالية وخاصة في وسط المدينة أو تركز أعداد كبيرة منهم في فضاء محـدد يسبب ضغطا على مراكز الخدمات العمومية،مما تنجم عنـه آثـار سـواء نفسـية أو مشكلات اجتماعية.

و يمكن إعتبار النقاط التي طرحها الاستاذ عبد الحميد دليمي نقاطا محورية لتحديد مدى تجاوب العمارات مع حاجات السكان فالعوائق الاجتماعية والثقافية والمجالية التي تعترض سكان العمارات الجديدة :

- ✓ مدى تجاوب العمارات الجديدة مع ثقافة الاسر الجزائرية .
- ✓ مدى تجاوب التقسيم المساحي الداخلي مع حجم الاسر الجزائرية.
- ✓ مدى استجابة المساكن لشروط الراحة والرفاهية.
- ✓ عدم تجاوب الاطار المبني مع كيفية حياة الأسرة [25]". ونتبين ذلك من خلال نتائج الدراسة:

خاتمة:

وانطلاقا مما نستنتج:

- ✓ شعور السكان بالأمان يعود في الأساس إلى عوامل مادية وإجتماعية.
- ✓ تكييف المجتمع للبناء ليتوافق مع حاجاته الإجتماعية،التي غيبت أثناء عملية التخطيط من قبل الدولة أو البناءات التقليدية حيث تبين أن الفرد لا يمتلك رؤية جمالية أثناء عملية التعديل على سكنه.
- ✓ الشعور بالإنتماء للمدينة يعود الى أسباب متعددة:نفسية، إجتماعية، مادية، زمنية.
- ✓ تقدير الذات يعود إلى إشباع الحاجات النفسية والإجتماعية والمادية.
- ✓ المسكن لم يعد يحجب المرأة وذلك عائد إلى:خروج المرأة للعمل وتعلمها،إلى جانب التغير التكنولوجي وما صاحبه من تغير في طريقة المعيشة.
- ✓ قداسة المسكن ليست متأتية من بعد ديني إنما قداسته متأتية من البعد الإجتماعي والنفسي ليكون البعد الديني هو الأخير.

- ✓ مجال الدراسة مازال مشبعا بالقيم الدموية والقرابية، وهذا عائد إلى الأصول الأولى(ريفية)وكذا نوع الأسرة(ممتدة).
- ✓ المجتمع يتعامل مع القيم الدينية بطريقة براغماتية من أجل تبرير علاقاته الاجتماعية، وهذا ماسينعكس فيما بعد على التنظيم الرسمي للمؤسسات.
- ✓ الرغبة في السكن بجوار الأقارب يعود الى الأصول الأولى (ريفية)إلى جانب العلاقات الدموية.
- ✓ السكن التقليدي والحديث لهما نفس الوظيفة في تلبية حاجات السكان، وذلك عائد إلى أن الذهنية التي يعيش بها ساكنة العمارات لا تختلف كثيرا عن ساكنة السكنات التقليدية.

❖ هوامش البحث:

(1) اسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1983، ص ص142-143.

(2) ليون الافريقي: **وصف افريقيا**، ت:محمد حجي، محمد الأخضر،ط2، بيروت، لبنان، دار الغرب الاسلامي 1983، ص138.

(3) "سلمى الخضراء الجيوسي وآخرون: **المدينة في العالم الإسلامي**، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص،1315.

(4) المرجع السابق، ص ص1315-1317.

(5) بشير عبد الفتاح، **الخصوصية الثقافية**، الإسكندرية، مصر، دار النهضة،2007، ص،10

(6) رجاء مكي طبارة، **مقاربة نفس-اجتماعية للمجال السكني**، 1995، ص16.

(7) سلمى الخضراء الجيوسي وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 1369، بتصرف.

(8) بشير ريبوح، **تنظيم المجال المعماري والعمراني في المدينة الجزائرية**،2009، ص،95.

(9) مرسيا الياد: المقدس والعادي ، 2009،ص،89).

(10) هاني محمد القحطاني:**مبادئ العمارة الاسلامية وتحولاتها المعاصرة-قراءة تحليلية في الشكل**، بيروت، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية،2009، ،ص35.

(11) سلمى الخضراء، مرجع سبق ذكره، ص105.

(12) المرجع السابق، ص67.

(13) يوليوس ليبس: **أصل الاشياء -بداية الثقافة الإنسانية-**،ت:كامل اسماعيل دمشق، سوريا، ط2، دار المدى، 2006. ص18.

(14) المرجع السابق، ص15.

(15) تياقة الصديق، **النمط المعماري للمدينة الصحراوية** (القصر) ووظيفته الاجتماعية-مقاربة أنتروبولوجية لقصر" تامنطيط" أدرار، رسالة مجستير،جامعة وهران، الجزائر،2005-2006، ص75، بتصرف.

(16) "التواصل، جوان2009، بلقاسم الديب، محمد العيد شوية، ص169.

(17) لويس ويرث، المدينة،1988،ص23،22،بتصرف.

(18) المرجع السابق، ص259.

(19) أحمد كوال، **التحضر، التحديث، الحداثة-في المجتمع المغربي الحديث**، 2012، ص62.

(20) المرجع السابق، ص211.

(21) رجاء مكي طبارة: **مقاربة نفس-اجتماعية للمجال السكني-دراسة ميدانية**، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات، ص33.

(22) لويس ويرث،مرجع سبق ذكره، بتصرف.

(23) عبد الحميد دليمي: **دراسة في العمران-السكن والإسكان**، الجزائر، دار الهدى، 2007،ص3، بتصرف.

(24) روبير أوزيل: **فن تخطيط المدن**، ت:بهيج شعبان، بيروت، لبنان، دار عويدات، دس، ص،44،بتصرف.

(25) عبد الحميد دليمي، مرجع سبق ذكره،ص ص 186،179.